

الواقعية فى السينما

بدأت السينما تتطور فى اتجاهين رئيسيين هما (الواقعية ، والانطباعية) واذا ما تحدثنا عن اتجاه الواقعية فى السينما فإن الكثير من مؤرخي السينما يعدون الاخوة لومير ، من مؤسسي التقاليد الواقعية فى السينما ، إذ بدءا بأفلام قصيرة لتسجيل الأحداث اليومية ، كوصول قطار أو خروج العمال من المعامل، أو تصوير الطبيعة كأمواج البحر ، أو أوراق الشجر .

ويعرف هريت ريد الواقعية على انها (الاعتقاد بالحقيقة الموضوعية) ، كما يعرفها يعرف عبد الرزاق الأصفر بقوله (هي تصوير مبدع للإنسان ، والطبيعة فى صفاتها وأحوالها وتفاعلها ، مع العناية بالجزئيات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية ، ولو كانت تفصيلات مبتذلة وكل ذلك ضمن الإطار الواقعي المؤلف) .

وحيثما اخذ فن السينما ينمو وينتشر بدأ المنتجون بتصوير المسرحيات ، وتقديمها إلى جمهور السينما ، وأخذت المواضيع تتنوع ، كذلك الأفلام تنوعت ، فمن مشاهد حياتية يومية إلى موضوعات وأحداث مستقاة من العصور القديمة وفى العشرينيات ظهر نوع ثالث من الأفلام ، هي أفلام الشوارع فى ألمانيا ، وسميت بـ(أفلام الشوارع) لأنها صُوِّرت فى الشوارع ، وتحت أسماء الشارع كـ(الشارع) ، و(شارع لا يعرف الفرحة) ، وفلم (مأساة شارع) ، وكذلك سميت بهذه التسمية لأنها تعالج الواقعية فى حياة رجل الشارع .

يقول كاراكور مُنظرَ الواقعية في السينما (الواقعية تعيد العدسة إلى رأس الإنسان وهو يرى الأحياء المجهرية ، المجرات ، الأقمار والكرة الأرضية والمدن والبحر فتثير هذه الرؤية الإحساس بالرهبة والروعة والمتعة بالحياة المتقدمة أمام العدسة وتصوير الحياة كما هي بعفويتها ، وغرائبها ، وجمالها ، وتعقيدها ، وبساطتها .

ويتحدث لوي دي جانيتي في كتابه (فهم السينما) عن الفلم الواقعي (إذا ما تحدثنا بصورة عامة فان الأفلام الواقعية تحاول إعادة تكوين السطح من الواقع المادي بأقل ما يمكن من التحوير ، ويحاول صانع الفلم عند تصويره الأحداث والأشياء أن يوحي بذات الغنى في التفاصيل والعطاء الذي يتميز بهما الحياة نفسها والواقعي باختصار يحاول أن يحافظ على الإيهام بأن عالم فيلمه هو مرآة موضوعية غير محرفة عن العالم الفعلي .

ويرى المختصون ان الواقعية في السينما تنفرد بفن إخفاء الفنان وتشجع مساهمة الجمهور ، كما أن أغلب الواقعيين يؤكدون أن اهتمامهم الكبير هو المضمون وليس الشكل أو التقنية ، والمضمون يأتي دائما في المقدمة .

وهنا بعض السمات التي يمتازون بها المخرجون الواقعيون عموما ، اذ انهم يرغبون في الحفاظ على الاستمرارية المكانية للمشهد، ويفضلون اللقطات البعيدة ، ويميلون إلى تجنب الزوايا المتعارف عليها ، وأكثر مشاهدتهم تُصوّر من زاوية مستوى النظر والواقعي يرغب في أن يجعل الجمهور ينسى أن هنالك تصويراً إطلاقاً ، وأما فيما يخص الإنارة فإن الواقعي يفضل النور السائد في التصوير وأن المخرجين الواقعيين يفضلون استخدام العدسات الاعتيادية، لكي يقللوا من التشويه إلى الحد الأدنى .

وللواقعية في السينما اتجاهات ، وهي (الواقعية الاشتراكية ، والواقعية الملحمية ، والواقعية الشاعرية ، والواقعية الرمزية، والموجة الجديدة في فرنسا ، والسينما الواقعية في بريطانيا والواقعية الجديدة) .

أولاً : الواقعية الاشتراكية

أنها تعبر عن تعاليم الثورة الاشتراكية ، وتسهم في بناء المجتمع الجديد وتتبنى أهداف الطبقة العاملة والواقعية الاشتراكية تظهر بوضوح في الأفلام السوفيتية القديمة والمنتجة بعد عام 1934، العام الذي جمع فيه (ستالين) الكُتَّاب السوفيتي في مؤتمر أعلن فيه أن الواقعية الاشتراكية هي الأسلوب الوحيد في الأدب والفن ، وأن هذا الأسلوب هو لنشر مفاهيم الثورة الاشتراكية ، فهي لا تكفي بتصوير الحياة على حقيقتها ، ولا تكفي بتحليل الجوانب المعقدة في النفس البشرية ، ولا تكفي بعرض المشاكل الاجتماعية ، وإنما تضيف إلى هذا كله القدرة على اتجاهات تطور الواقع الاشتراكي الذي يعبر عن تعاليم الثورة الاشتراكية وعن تأثيرها الفعال في بناء المجتمع الجديد ، أنها تقوم بدور إيجابي خلاق في التغلب على السلبية ، والقدرية، والخضوع والذلة ،والعبودية والإشادة بالأعمال البطولية في حياة الأفراد والشعوب، واغلب مواضيع الأفلام السينمائية مأخوذة من الأدب الواقعي الاشتراكي الذي يقوم بتوعية العمال ودعم إيمانهم بروح الاشتراكية .

والواقعية الاشتراكية لم تعد مفهوما روسيا ، وإنما انتشر في البلدان الاشتراكية ، وبذلك اقتصر استخدام عبارة الواقعية الاشتراكية على مجموعة الأفلام التي تنتمي إلى بلدان المعسكر الاشتراكي ، الاتحاد السوفيتي (سابقا)، وبلدان أوروبا الشرقية .

ثانياً: الواقعية الملحمية

نشأت الواقعية الملحمية قبل دخول الصوت إلى السينما ، وهي اسلوب ملحمي يأخذ طابعاً سردياً عريضاً ويتناول ملاحم الشعوب أو نضالها وأن الجماهير هي البطل ، مثل فلم (التعصب) 1916 إخراج (جريفيث) ، والفلم يأخذ طابعاً سردياً عريضاً ، إذ يتناول الفلم أربع قصص ملحمية ، القصة الأولى تدور أحداثها في بابل القديمة ، والقصة الثانية تدور حول صلب المسيح ، والقصة الثالثة مذابح المسحيين البروتستانت ، والقصة الرابعة تجري أحداثها في أمريكا 1916 ، والرابط بين هذه القصص الأربع والتي عبارة عن ملحمة هو التعصب ، وأن الشخصيات في هذه الملحمة تمثل الإنسانية ومن أمثلة الأسلوب الملحمي كذلك فيلم (الإضراب) 1924 لـ (آيزنشتاين) الذي يتناول الحوادث التي أدت إلى الإضراب الشامل لعمال التعدين وكذلك فيلم (المدرعة بوتمكن) 1925 لـ(آيزنشتاين) والذي يتناول انتفاضة الشعب الروسي ضد الحكومة ، والجماهير في هذه الأفلام هي البطل .

التكملة في المحاضرة القادمة انشاء الله